﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾ [الجاثية: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لمّا كان قولُهم - بأنَّه ليس من حياة إلّا هذه الحياة الدُّنيا، وأنَّه لا يهلكهم إلّا الدَّهرُ - عجبًا، زادَه عجبًا بذكر حالِهم عند سماعِهم آيات القرآن الدّالَّة على البعث، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1]، ففي السّياق انتقال من تعجيب لقول الكافرين إلى تعجيب آخر أشدَّ منه.

من أساليب القرآن الانتقال من تعجيب لقول الكافرين إلى تعجيب آخر لإبطال قولِهم ونقض شبهاتِهم

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حُجَّتَهُمۡ﴾: أصلُ (حج) أصولٌ أربعةٌ، منها ما يدلُّ على القَصْدِ، وكلُّ قصدٍ حجٌّ، ومُمكنٌ أن تكون الحُجَّةُ مُشتقَّةً من هذا؛ لأنَّها تُقصَدُ، أو بها يُقصَدُ الحقُّ المطلوبُ، يُقالُ: حاججتُ فلانًا فحججتُه، أي: غلبتُه بالحُجَّة، وذلك الظَّفَرُ يكونُ عند الخُصومة[2]، وفي الحَديث: «فَحَجَّ آدَمُ موسَى»[3]، وتنقسم إلى حُجَّة دامغة يثبت بها الحقُّ، وإلى حُجَّة داحضة يموِّه بها الباطل[4]، والحُجَّة: البُرْهان، وقِيلَ: الحُجَّة ما دوفِعَ به الخَصْمُ، وقالَ الأزهريُّ: الحُجَّة الوجهُ الَّذي يكونُ به الظَّفَرُ عند الخُصومةِ، وهو رَجُلٌ مِحْجاجٌ، أي: جَدِلٌ، والتَّحاجُّ: التَّخاصُم[5]، واحتَجَّ بالشَّيء: اتَّخذهُ حُجَّةً[6]، والمراد بالحُجَّةِ في الآية: ما يُقصَدُ به إثباتُ المُخالِف[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 100.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حج).
(3) جزء من حديث رواه أبو هريرة ﷺ، موطأ مالك، باب النهي عن القول بالقدر، رقم الحديث: (1872).
(4) المراغي، تفسير القرآن: 7/ 175.
(5) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (حج - حجج).
(6) ابن سيده، المحكم: (حج).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 46.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَن كان قادِرًا على الإحياء والإماتة؛ كان قادِرًا على البعثِ بعد الموت

يذكر الله تعالى شبهة المشركين على إنكار البعث، فيقول: وإذا تليَت على هؤلاء المشركين - الَّذين سبق القول في جرائمهم - آيات الكتاب الدّالَّة على أنَّ البعث حقٌّ، وأنَّ الله سيعيد الخلق يوم القيامة، وينشئه نشأة أخرى؛ لم يكن لهم من حجَّة في دحض هذا إلّا أن قالوا: إن كان ما تقولونه حقًّا؛ فأحيوا آباءَنا؛ إن كُنتُم صادِقينَ في أنَّ بَعثًا كائن بعدَ الموتِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الوصل بالواو:

التَّرقّي في الدَّليل لإبطال شبهات الكافرين وظنونهم

جاء قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ عطفًا بالواو على جملة: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ لاشتراكهما في كونهما جملتين خبريَّتين وفي الجهة الجامعة، وبيانها أنَّه لمّا نفى شبهتَهم على معتقدِهم أنَّه لا حياةَ سوى هذه الحياة، وأنَّه ما يهلكهم إلّا الدَّهر، فلمّا نفى شبهتهم، بقولِه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾؛ ترقّى في الإتيان بالدَّليل لدحض شبهتِهم ببيان الدَّليل على خلافِ معتقدِهم[1]، فعطْفُ الجملة على معنى التَّرقّي في الدَّليل؛ لاشتراك الجملتين في كونهما ردًّا على قول الكافرين.

سببُ إيثار التَّعبير بـ(إذا):

رغم أنَّ آيات الله تُتلى عليهم دائمًا إلّا أنَّهم يُكابرون

عبَّر بأداة الشَّرط (إذا)؛ للإشعار بالقطع في أنَّ الآيات تُتلى عليهم وبكثرة تلاوة هذه الآيات؛ لأنَّ (إذا) يُؤتى بها مع الأمر المقطوع بوقوعه، أو ما له حكم هذه المنزلة، وفيه ترغيب لتلاوة آيات القرآن على الكافرين والمنكرين للبعثِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ التِّلاوة دون القراءة:

عبَّر بلفظ التِّلاوة دون القراءة في قولِه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 437.

بَيِّنَٰتٍ﴾؛ لأنَّ لفظ التِّلاوة إذا جاء في سياق آيات القرآن؛ فيقصد به القراءة المتلوَّة بالاتِّباع والعمل، والمعنى: إذا تليت عليهم آياتنا تلاوة داعية إلى اتِّباعِها والعمل بما فيها من الأوامر والنَّواهي، وفيه حثٌّ على أن تكون قراءة القرآن قراءة تدبُّر، يتبعها العمل والتَّنفيذ.

الحثُّ على قراءة القرآن قراءة تدبُّر يتبعها العمل والتَّنفيذ

فائدةُ التَّعبيرِ بصيغة المضارع:

أشعر الفعل المضارع ﴿تُتْلَىٰ﴾ بتجدُّد تلاوة آيات القرآن على الكافرين، بمعنى: أنَّ آيات القرآن لم تتلَ عليهم مرَّة واحدة، فالتِّلاوة متجدِّدة، فيكون إنكارُهم لمضمون آيات الله تعالى الدّاعية إلى الإيمان بالبعثِ على سبيل العناد والتَّكبُّر، وفيه تسجيل عليهم بإقامة الحجَّة وبيانِها.

مع تجدُّدِ تلاوة آيات الله عليهم يتجدَّد كفرهم

نكتةُ بناء فعل ﴿تُتْلَىٰ﴾ للمفعول:

عبَّر بصيغة المبني للمفعول في الفعل ﴿تُتْلَىٰ﴾؛ للإشعار بأنَّ إنكارَهم ليس متعلِّقًا بتلاوة من معيَّن أو بتلاوة تالٍ مخصوص، بل لأجل أنَّها آيات الله تعالى، بمعنى: أنَّ أيَّ تالٍ يتلو عليهم آيات الله الَّتي تدعو إلى الإيمان بالبعثِ يقولون القول المذكور، فبناء الفعل للمفعول إنَّما يكون للعلم بالفاعل من جهة، ولدعوة المخاطَبين للانشغال بحقيقة الفعل بغضِّ النَّظر عن فاعله.

إنكارُ الكافرين ليس متعلِّقًا بنوع الَّذي يتلو الآيات بل لأجل أنَّها آيات الله تعالى

نكتةُ استعمالِ حرف الاستعلاء:

عبَّر بحرف الاستعلاء (عَلَى) في قوله: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾؛ للإيماء إلى أنَّ تلاوة آيات الله قد جاءتهم من كلِّ جانب، وأنَّها قد أحاطت بهم، وأنَّهم قد فهموا معانيها على سبيل التَّمكُّن منها، فيكون إنكارهم لها إنكار عالمٍ بمعانيها، وليس إنكار جاهل بمضمونِها.

التَّعبيرُ بحرف الاستعلاء يدلُّ أحيانًا على التَّسلُّط وشدَّة التَّمكُّن من الفعل

غرضُ تقديم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على ﴿ءَايَٰتُنَا﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على النّائب عن الفاعل ﴿ءَايَٰتُنَا﴾؛

إقامةُ الحجَّة على الكافرين بتلاوة آيات الله عليهم

لأنَّ موضع الاهتمام هو بيان أنَّ تلاوة الآيات كانت عليهم، وأنَّهم كانوا هم المقصودين في أن تكون الآيات تُتلى عليهم، فلم تكن الآيات تُتلى، وهم يسمعونها سماع المستطرق، ففي التَّقديم إثبات للحجَّة عليهم في أنَّ آيات الله تُتلى عليهم.

دلالةُ استعمال مفردة ﴿ءَايَتُنَا﴾ وجمعها:

الحثُّ على إيثار تلاوة مجموعة من الآيات على المنكرين وعدم الاكتفاء بآية واحدة

عبَّر بلفظ ﴿ءَايَتُنَا﴾، والمقصود بها آيات القرآن؛ لأنَّها علامات عظيمة دالَّة واضحة، وعبَّر بصيغة الجمع؛ للإشارة إلى أنَّ ما يُتلى عليهم جمع من الآيات، وليس آية واحدة، ففيه تعجيب من إنكارِهم وعنادِهم مع ظهور عظمة هذه الآيات وكثرتِها ووضوحِها بحيث لا يمكن إنكارها.

غرضُ إضافةِ آيات إلى ضمير العظمة:

الإضافةُ قد تأتي للتَّشريف

أُضيف لفظ ﴿ءَايَتُنَا﴾ إلى ضمير العظمة دون أن يقال: آيات الله؛ للإشارة إلى عظمة هذه الآيات، فيقتضي أن يؤمنوا بها، ويمتثلوا لأوامرِها ونواهيها، لا أن يجادلوا فيها، ويدفعوها بالحجج الواهية الباطلة، كما أنَّ في الإضافة إلى ضمير العظمة إيماءً إلى الوعيد بمن يكذِّب بها؛ لِما تشعر به الإضافة من أنَّها مختصَّة بالله تعالى العظيم الجليل.

نكتةُ التَّقييد بالحال ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾:

آيـاتُ الله لا تنفكُّ عن وصف الوضوح والبيان

لمّا كان الحال على معنى اقترانِه بصاحبه، وكانت هذه الحال لازمةً للآيات؛ لأنَّ الآية هي العلامة العظيمة الواضحة - فكون الآيات بيِّنات ملازم لها - فلمّا كان الأمر كذلك؛ أفاد اقتران تلاوة الآيات بالحال ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ أنَّها آياتٌ واضحةُ الدَّلالة على ما نطقت به؛ ليفيد الحال التَّعجيب من قولِهم وعنادِهم، فيكون لفظ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ مأخوذًا من الفعل اللّازم (بانَ)، ويكون بمعنى الصِّفة المشبَّهة، ويحتمل أن يكون المعنى مبيِّناتٍ؛ لِما نطقت به،

فيكون اللَّفظ مأخوذًا من الفعل المتعدّي (أبانَ)، فيكون بمعنى اسم الفاعل[1].

نكتةُ النَّفي بالأداة ﴿مَّا﴾:

من براعة بلاغة القرآن أن يقول (ما كانَ) دون أن يقال (لم يكن)

عبَّر بأداة النَّفي ﴿مَّا﴾ دون أن يقال: لم تكن حجَّتهم؛ لأنَّ (ما) في العربيَّة أوكد في النَّفي من (لم)؛ لأنَّ (ما) تأتي نفيًا لقولِهم: (قد فعل)، و(لم) تنفي (فعل) من غير تأكيد، فكما أنَّ (قد) فيها معنى التَّأكيد، فكذلك ما جعل جوابًا لها[2]، وكأنَّ التَّقدير: واللّه ما كان حجَّتهم إلّا أن قالوا، كما أنَّ النَّفي في قولِه: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ يفيد قرب العهدِ بهذا القول؛ لأنَّ ﴿مَّا﴾ تفيد نفي الزَّمن الماضي القريب من الحال، بمعنى: أنَّهم متمسِّكون به، ولم يتركوه، وأيضًا النَّفي بـ﴿مَّا﴾ يأتي في مقام الرَّدِّ على قولٍ، فكأنَّه قيل لهم: هذه آياتنا بيّناتٌ، فآمنوا بها، وبما نطقت به من وقوع البعثِ يوم القيامة، فقيل في الجواب: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، فكان الأقضى لحقِّ البلاغة أن يقال: ﴿مَّا كَانَ﴾، لا أن يقال: لم تكن.

دلالةُ ذكرِ فعل الكون الماضي ﴿كَانَ﴾:

أفاد التَّعبيرُ بصيغة الماضي في الفعل ﴿كَانَ﴾ عراقتَهم في هذا القول وتمسُّكهم به من الزَّمن الماضي.

غرضُ تقديم ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ على اسم كان:

تقديمُ ما حقُّه التَّأخير قد يفيد القصر الحقيقيَّ أو الإضافيَّ

أفاد تقديم خبر كان على اسمِها في قوله: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ القصرَ في الكلام، وهو من باب قصر الموصوف على الصِّفة للمبالغة، بمعنى: أنَّه ليس لهم حجَّة سوى هذا القول، فإذا بطلت هذه الحجَّة؛ فما عليهم إلّا الإذعان للحقِّ والإيمان بالبعثِ.

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 20، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 437.

(2) سيبويه، الكتاب: 3/ 117، والسّيوطي، الإتقان: 2/ 918.

سرُّ تسميةِ قول المشركين (حجَّة):

ما يحتجّ به منكرو البعث مصادرةٌ عن المطلوب ودعوى متهافتةٌ

قد يقال: إنَّ الحجَّة ما يكون بها الاحتجاج، وينقطع بها العذر، وما نطق به المشركون في الإخبار عنهم بقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾، هو قول مجرَّد من الاحتجاج، فما سرُّ تسمية ما نطقوا به حجَّة؟

والجواب: أنَّ ذلك لوجوه: فإمّا أن يكون تسميته حجَّة بحسب اعتقادِهم وحسبانِهم، أي: أتوا بما توهَّموه حجَّة، فيكون الإطلاق استعارة تصوُّريَّة، والمراد نفي أن تكون لهم حجَّة ألبتَّةَ، فيكون في تسمية قولِهم (حجَّة) إبطالٌ لأن يكون حجَّة، وبيانه أنَّه لو كانت لهم حجَّة في إنكار البعثِ؛ كانت مقولتهم المذكورة في الآية ﴿ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾، وهذه ليست بحجَّة، بل هي استبعاد وعناد؛ لكي لايؤمنوا بالبعثِ، فإذًا ليست لهم حجَّة ألبتَّةَ في إنكار البعثِ، فكأنَّه قيل: (ما كان حجَّتهم إلّا ما ليس بحجَّة)، بمعنى هذا أقصى ما يستطيعونه من التَّشبُّث بما يعارضون به، وهو ليس بحجَّة.

التهكّم بمَن قوله واهٍ ورأيُه واهنٌ

وإمّا أن يكون ذلك محمولًا على التَّهكُّم بهم؛ لأنَّهم أدْلَوْا به، كما يُدْلي المحتجُّ بحجَّته، وساقوه مساقها، فسُمِّيت حجَّة بزعمِهم، وإن كانت في نفس الأمر ليست بحجَّة، فيكون إطلاق الحجَّة على قولِهم على سبيل التَّهكُّم بهم وبقولِهم.

وإمّا أن يكون على أسلوب الاستعارةِ التهكُّميَّة بتنزيل التَّضادِّ منزلة التَّناسب والتَّجانس بين الضِّدَّين بواسطة التَّهكُّم، فإنَّ التَّحيَّةَ لا تكون بالضَّرب المؤلم، كما يقال للجبان: أسدٌ، وللغبي: عبقريٌّ[1]، والفرق بين الوجهين في التَّهكُّم هو أنَّه في الأوَّل لوحظ حسبانُ المنكرين ومساقُهم قولَهم مساقَ الحجَّة بزعمِهم، وفي الوجه الثّاني لم يلاحظ ذلك، والمآل

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 4/ 291 - 292، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 173، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 108، والطّيبيّ، حاشية على الكشّاف: 14/ 256.

واحد، وهو التَّهكُّم بهم وبقولِهم؛ ليفيد أنَّ قولَهم أوهى من أن يقال عنه حجَّة، أي: لا حجَّة لهم البتَّةَ؛ لأنَّ البعثَ الموعودَ به لا يحصلُ في الحياة الدُّنيا، وهذا من تورُّكِهم واستهزائِهم.

بلاغةُ الإطنابِ بذكر الاستثناء بدل الاكتفاء بالخبر:

جاء قولُه تعالى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ على أسلوب الاستثناء، فعدل إلى الإطناب بدلًا من الإيجاز بأن يقال: (وإذا تُتْلَى عَلَيهِم آياتُنا بَيِّناتٍ؛ قالوا: ائتوا بآبائِنا؛ إن كنتم صادقين)، والمعنى متقارب، ونكتة العدول إلى الإطناب هي أنَّ الآية أرادت أن تبيِّن إفلاس المشركين من الحجج، وأنَّهم ليس لهم حجَّة - إن كان قولهم يسمَّى حجَّة - إلّا ما قالوه، أي: ما كانَ حجَّتُهم شيئًا من الأشياءِ إلّا هَذا القولَ الباطلَ[1]، ففي العدول إلى الإطناب بأسلوب الاستثناء حصرٌ لحجَّتِهم، فيسهل إبطالُها، وإن لم يأتِ بأسلوب الحصر؛ لقيل: لعلَّ لهم حُججًا أخرى، فلمّا حصرَ حجَّتهم، وأبطلَها؛ كان كأنَّهم أُسقطوا في أيديهم؛ إذ لم يكن لهم حجَّة غيرها، كما أنَّ في الإطنابِ بيانًا لعنادِهم وجهلِهم حتَّى صاروا أضحوكةً للعقلاء.

العدولُ عن الإيجاز إلى الإطناب؛ لقصد حصر حجَّة المنكرين، فيسهل إبطالُها

غرضُ الأمر ﴿ٱئْتُواْ﴾:

لمّا كان السّياق في بيان إنكار الكافرين للبعثِ يوم القيامة؛ أفاد أنَّ الكافرين قصدوا من قولِهم: ﴿ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ تعجيز المخاطَبين؛ للاستدلال على إنكارِهم البعثِ، وليس الطَّلب الَّذي هو الأمر المعهود الَّذي يقصدُ به تحصيل المطلوب، ومن جهلِهم أنَّهم طلبوا من المؤمنين الإتيان بآبائِهم، والخطاب في بيان أنَّ الله تعالى هو الَّذي يحييهم بعد الموت.

من جهلِ المنكرين أنَّهم طلبوا من المؤمنين الإتيان بآبائِهم، لا من الله القادر

نكتةُ إيثار فعل ﴿ٱئْتُواْ﴾:

لمّا كان الكافرون منكرين للبعثِ، وكان الظّاهر أن يطلبوا إحياء

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 74.

الموتى بأن يقولوا: أحيوا آباءَنا؛ إن كنتم صادقين، فلمّا كان الأمر كذلك؛ كان العدول إلى الفعل ﴿ٱئۡتُواْ﴾ يُقصَد به أنَّهم طلبوا ما هو أكثر من الإحياء، وهو أن يُحضروا آباءَهم، ويكونوا معهم، فكأنَّهم طلبوا إحضارَهم؛ ليشهدوا بصحَّة البعثِ، وبصدق ما يُتلى عليهم من آيات الله تعالى، ففي التَّعبير بلفظ ﴿ٱئۡتُواْ﴾ إيغال ومبالغة في إنكارِ الكافرين للبعثِ، بمعنى أنَّهم لم يطلبوا إحياءَ آبائِهم فقط، بل طلبوا إحياءَهم وإحضارَهم، ويشهدوا أمامَهم على صحَّة البعثِ وصِدق الآيات.

إنكارُ الكافرين البعثَ بعد الموت ما هو إلّا إيغال في العناد

دلالةُ الخطاب بصيغة الجمع في ﴿ٱئۡتُواْ﴾ و﴿كُنتُمۡ﴾ دون أن يكون بصيغة المفرد:

عبَّر بصيغة الجمع في قوله: ﴿ٱئۡتُواْ﴾ و﴿كُنتُمۡ﴾ دون أن يكون الخطاب بصيغة المفرد بأن يقال: ائتِ بآبائِنا؛ إن كنت من الصّادقين، والسَّبب هو أنَّهم قصدوا خطابَ الَّذين يعدّونهم بالنُّشور، فالمراد من الخطاب هو الرَّسول ﷺ والمؤمنون؛ إذ هم قائلون بمقالتِه[1]، وفيه إشعارٌ بأنَّ الكافرين كانوا يقصدون نفي الصِّدق عن جميع المؤمنين، وليس عن الرَّسول ﷺ وحدَه؛ مبالغةً في الإنكار، وسعيًا لنقضِ الرِّسالة، كما أفاد أنَّ الدَّعوة إلى الإيمان بالبعثِ لم تكن مقتصرةً على رسول الله ﷺ، بل كان معه المؤمنون في ذلك؛ لأنَّ الكافرين خاطبوا الرَّسول ﷺ المؤمنين جميعًا.

الدَّعوة إلى الإيمان بالبعثِ هي صلب دعوة الأنبياء والمرسلين

فائدةُ الباءِ في قوله: ﴿بِـَٔابَآئِنَآ﴾:

الباءُ في قولِه: ﴿بِـَٔابَآئِنَآ﴾ للإلصاق، بمعنى: أن يكون الإتيان ملاصقًا للآباء على معنى طلب حضورِهم عندهم؛ وذلك لإمعانِهم في العناد والكفرِ.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 424، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 364.

دلالةُ إضافة الآباء للضَّمير:

الإضافةُ في قولِه الآباء: ﴿بِـَٔابَآئِنَآ﴾ للاختصاص؛ اهتمامًا بآبائِهم وافتخارًا بهم، ولأنَّهم أعلم بهم من غيرِهم.

توجيهُ استعمال ﴿إِن﴾:

الـشَّـرطُ على معنى استبعاد الكافرين لصدق المؤمنين

عبَّر بأداة الشَّرط ﴿إِن﴾ دون (إذا)؛ للإيذان بأنَّهم يشكّون في صِدقِ المؤمنين حين يتلون آيات الله عليهم؛ ليفيد أنَّهم إنَّما قالوا هذا القول على سبيل التَّشكيك في صِدق المؤمنين، وليس من أجلِ الإيمان بالبعثِ، فإنَّ الأصلَ في (إنْ) أنَّها تُستعمل في المشكوك فيه والموهوم، كما أنَّ أسلوب مجيء الأمر متبوعًا بالشَّرط - أي: بصيغة افعل كذا؛ إن كنت كذا - يُؤتى به لقصدِ تعجيز المخاطَب، ونفي القدرة على تحصيل الشَّرط، فيُلمح من جملة الشَّرط فيه استبعاد الوقوع، وليس الشَّك في وقوعِها، ولهذا لم يرد في مثل هذا الأسلوب ذكرٌ لجواب الشَّرط، وغاية الأمر تقديره من جملة الأمر التي تقدَّمت الشَّرط، فلمّا كان هذا الأسلوب على معنى الاستبعاد؛ لم يرد في القرآن وفي الكلام البليغ اقتران الشَّرط فيه بأداة الشَّرط (إذا).

نكتةُ التَّعبير بفعل الكون بصيغة الماضي ﴿كُنتُمْ﴾:

القولُ بإحياء الموتى يوم القيامة أمرٌ عظيم، فلا يصدر إلّا بالحقِّ

عبَّر بقولِه: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ بفعل الكون بصيغة الماضي مع أداة الشَّرط في قولِه: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ لتحقيق شكِّهم، دون أن يقولوا: إن صدقتم؛ إشعارًا بأنَّهم قصدوا إن كنتم عريقين في الوصف بالصِّدق؛ إيماءً بأنَّ من يقول بإحياء الموتى يوم القيامة لا يكون إلّا ممَّن يكون الصِّدق وصفًا لازمًا له، لا ينفكُّ عنه.

سببُ إيثار لفظ الصِّدق:

الكافرون يكذِّبون آيات الله، ومن يتلو هذه الآيات

عبَّر بلفظ ﴿صَٰدِقِينَ﴾؛ لردِّ الكافرين على ما يُتلى عليهم من آيات الله، فقصدوا أنَّ القول الَّذي يُتلى علينا ليس بصدقٍ؛ لأنَّ الصِّدق إخبارٌ عن المخبَر به على ما هو به، وهو وصف للقول أوَّلًا،

وبالذّات، ثم يأتي وصفًا للفعلِ بعد ذلك، والمراد إن كنتم صادقين في إخبارِكم وقولِكم؛ ففيه إشارة إلى أنَّهم يكذِّبون آيات الله، ويكذِّبون الرَّسول ﷺ والمؤمنين الَّذين يتلون عليهم هذه الآيات.

نكتةُ حذفِ متعلّق اسم الفاعل ﴿صَٰدِقِينَ﴾:

حـذْفُ المتعلّقِ ليشمل كـلَّ ما يمكن تصديقه

حذْفُ متعلّق اسم الفاعل ﴿صَٰدِقِينَ﴾ للتَّعميم؛ لإفادة شكِّهم في وصف الصِّدق للمؤمنين، بمعنى أنَّ الكافرين قصدوا أنَّ المؤمنين ليسوا موصوفين بالصِّدق، ويدخل فيه دخولًا أوَّليًّا شكُّهم في أن يكونوا صادقين في أنَّهم يبعثون بعدَ الموتِ، والمعنى: ائتوا بآبائنا؛ إن كنتم صادقينَ أصلًا، وإن كنتم صادقين في أنّا نبعثُ بعدَ الموتِ.

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الحجَّة والبرهان:

الغـايـة من البرهان توثيقُ صـحَّـة الأمـر، والحجَّةُ لإفحام الخصم

الحجَّة هي الدَّلالة المبيِّنة للمحجَّة، وتقتضي طرفين بحيث يقضي أحدهما على الآخر بحجَّتِه، فالغاية من الحجَّة هي الإقناع مع إذعان الخصم، وقد يسمَّى ما يُحتجُّ به حجَّة، وإن لم يكن حجَّة في نفسِه، وأمّا البرهان؛ فهو بيان الحجَّة، فيقصد به إثبات المسألة بالدَّليل الصَّحيح القاطع الَّذي يوقع اليقين، فهو يقتضي الصِّدق أبدًا - لا محالة - فالغاية من البرهان هي أن يُؤتى به لإثبات صحَّة أمرٍ، والغاية من الحجَّة إقناع الخصم وإذعانه[1].

(1) الرّاغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بره، حجج).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"